وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة.

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

د/ غماري فوزية

د/ بوالقمح نزيهة

المحاضرة الثانية: تابع -محور مدخل إلى علم النفس

3- موضوع علم النفس وتعريفه:

يختلف موضوع علم النفس باختلاف اهتمامات علماء النفس فمنهم من اهتم بالقضايا النظرية للتعلم ومشكلاته التطبيقية مثلا كيف يتعلم الطفل القراءة ولماذا ينسى الفرد ما تعلمه وما هي أفضل الطرق لاكتساب المهارات أو تعلم لغة جديدة أو التخلص من عادات غير مرغوبة....ويبحث عالم النفس الإكلينيكي في تاريخ حياة الشخص وفي قدراته وخصائصه وفي تفاعل كل ذلك مع المؤثرات الاجتماعية المختلفة بهدف تحسين توافقه الانفعالي والاجتماعي ويحاول عالم النفس الاجتماعي أن يفهم السلوك الجماعي ويكشف ديناميات الجماعة والقيادة وأن يحدد اتجاهات أفراد المجتمع والرأي العام وغير ذلك."

(طلعت منصور وآخرون،2003)

و عليه نستنتج أن علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الكائنات العضوية. ،ويتفق كل علماء النفس على هذا التعريف إلا قليلا منهم على اعتبار أن:

- ✓ **العلمScience**:هو الدراسة **الموضوعية** للظواهر بهدف الوصول إلى مجموعة من المعارف المنظمة المتسقة، الدقيقة والصادقة. ويتميز العلم بمجموعة خاصة من العمليات المستخدمة في تفسير المعطيات أو البيانات.

✓ **والكائن العضوي Organisme** فهو الكائن الحي القادر على الاحتفاظ بذاته بوصفه مجموعة من الأجهزة، ويتكون من أجزاء قادرة على أداء وظائف تكاملية معينة وهو حسب ما يتم تداوله يقتصر على الحيوان والإنسان كما ينظر إلى الكائن العضوي على أنه يقوم بوظائف نفسية وفزيولوجية. وهذه الكائنات العضوية مجهزة للقيام بوظائف حيوية كثيرة وقادرة على النهوض بها وهي التغذية والنمو والتناسل والحركة والإحساس.

✓ **أما السلوك Behavior** هو مجموع أفعال الكائن العضوي الداخلية والخارجية والتفاعل بين الكائن العضوي وبيئته المادية والاجتماعية ، كما يتمثل في مختلف الأنشطة التي يقوم بها الإنسان والحيوان.

والسلوك **هو جزء من الكل** الذي يشمل العمليات الحيوية كالأيض (البناء والهدم في الخلايا الحية)، النمو، الهضم، الإخراج ، الدورة الدموية وهذه العمليات الفزيولوجية والمرتبطة بالجهاز العصبي والغدي خاصة تشكل أساس السلوك. فالسلوك يشير إلى أفعال الكائن العضوي ككل. فالهروب من خطر هو نشاط الكائن العضوي ككل إنه سلوكه. (أحمد محمد عبد الخالق، 1999، 14)

ولتحديد ما هو السلوك لا بد أن نعرف أن الكائن الحي منذ ولادته تبدأ بينه وبين البيئة التي يعيش فيها علاقة ديناميكية بمعنى أن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به، وهذه العلاقة تجعله في حالة مستمرة من النشاط ومجموع هذا النشاط الذي يصدر عن الكائن الحي هو ما نسميه بالسلوك سواء كانت تقلصات في المعدة أو حركات العضلات ، تناول الطعام، قراءة كتاب أو حل مشكلات عقلية.... والسلوك بذلك نشاط ينطوي على عمليات جزئية وحركات جزئية تفصيلية إلا أننا نهتم بالنشاط الكلي كالذهاب إلى المدرسة ... ومع ذلك قد نحتاج إلى تناول النشاط الجزئي في بعض الحالات كتحليل بعض العمليات في المصنع من أجل تحسين الإنتاج والتقليل من آثار التعب والحركات الخاطئة والزائدة.

ويتضمن السلوك كنشاط كلي ومركب ثلاث جوانب: جانب معرفي، حركي و انفعالي.

أ-جانب معرفي: ندرك ما حولنا ونتفاعل برموز ومعاني فأدرك أنني جالسة أكتب هذه الفقرات، فالإدراك والتمييز والتصور والتخيل والتفكير والتذكر والتعبير الرمزي اللغوي وغيرها هي الجانب المعرفي للسلوك.

ب-جانب حركي :كالاستجابة الحركية لإشارات المرور وركوب الدراجة وكتابة كلمات والتي يرافقها الجانب المعرفي.

ج_جانب انفعاليوهو الحالة الانفعالية التي تصاحب السلوك وهي محركات ومنشطات للسلوك كالميل إلى موضوع معين والتحمس له....

إذن السلوك خبرة لا تتجزأ فعندما يثيرك شخص بكلمات مهينة فإنك تغضب وتنفعل وهذا المظهر الوجداني يغلب على سلوكك الحالي ولكن الغضب لا يحدث إن لم تدرك معنى تلك الكلمات وبالتالي انفعال الغضب مبني على معرفة معنى الموقف. وأثناء غضبك فقد تتغير ملامح وجهك ويتخذ مظهر حركي معين. فالتركيز على ناحية من نواحي السلوك من أجل الدراسة العلمية ليس معناه أن هناك خبرة لا تضم النواحي الثلاث.

فمن خصائص السلوك أنه عملية دينامية أي قابلة للتعديل والتغيير والتكيف والنمو والبناء بناء على ما يقع على الكائن الحي من مؤثرات خارجية أو ما يتعرض له من آثار مترتبة على هذا السلوك. (طلعت منصور وآخرون، 2003)

وتبعا للتطورات الحديثة في مختلف الميادين والتي انعكست على علم النفس أصبح علم النفس يهتم بدراسة جميع أنواع السلوك الإنساني في جميع مراحل حياة الإنسان المختلفة واكتشاف القوانين والمبادئ العامة التي تحكم هذا السلوك وتوجهه وتنسيق هذه القوانين والمبادئ والحقائق في نظام معرفي متكامل وبالتالي أصبح علم النفس عبارة عن **الدراسة العلمية لسلوك الإنسان ولتو افقه مع البيئة**.

وتشير الدراسة العلمية إلى أهمية تطبيق مناهج البحث العلمي في دراسات علم النفس. ويقصد بالسلوك جميع أنواع النشاط الذي يصدر عن الإنسان في تفاعله مع ظروف بيئية معينة من خلال محاولاته المتكررة للتعديل والتغيير والتحسين في هذه الظروف لتتناسب مع مقتضيات حياته وليتحقق الاستمرار والبقاء لجنسه.

ومن الملاحظ أن مفهوم السلوك هنا يختلف عن مفهومه في اللغة الدارجة التي تقصره على الأفعال الخارجية وحدها أو على المسلك الخلقي للشخص . فالسلوك الإنساني **نشاط كلي مركب و دينامي** فهو لا يعكس التكوين الداخلي لفرد فحسب بل يخضع أيضا لتلك العوامل الخارجية المحيطة به لتتفاعل معه وتؤثر فيه.

و يشير "جيلفورد" Guilford في كتابه "علم النفس العام" (1971) **إلى النشاط العقلي كموضوع لعلم النفس** بقوله " أن النشاط العقلي يتميز عن غيره من أشكال النشاط الأخرى بالحقيقة التالية، أنه ذلك النشاط الذي يحقق للفرد تكامله ووحدته ، كما يشير إلى التفاعل بين الفرد وبيئته"

وهذا لا يعني أن علم النفس لا يقتصر على دراسة الجانب الراقي في الإنسان وهو الجانب العقلي وإنما يتناوله في تأثيره وتأثره بالجوانب الأخرى من بنية الإنسان ، وفي تفاعله مع العوامل الداخلية الفزيولوجية والخارجية الاجتماعية والثقافية. كما اهتم العلماء بالوظائف النفسية التي تكمن وراء السلوك من وظائف عقلية عليا كالإحساس والإدراك والانتباه والذاكرة والتفكير والتصور والتخيل واللغة إلى جانب العمليات الانفعالية والدافعية. كما أصبح موضوع علم النفس الشخصية باعتبارها تعطينا النظرة الكلية للتكوين النفسي للإنسان من حيث خصائصه الجسمية-التشريحية وخصائصه العقلية –المعرفية وخصائصه الاجتماعية والتي تنتظم في بنية مركبة تحدد "أسلوب حياة الفرد وسلوكه في المواقف الحياتية المختلفة" (طلعت منصور وآخرون،2003)

4-أهداف علم النفس :

لقد بات هدف علم النفس مركزا على الكشف عن أسس السلوك الإنساني وتحقيق ذلك مرتبط بتحقيق الأسس العلمية المعترف بها أكاديميا أي أن هذا العلم يسعى إلى:

أولا/ الوصف Description:

وهو عبارة عن تقرير عن الظواهر القابلة للملاحظة وبيان علاقاتها بعضها ببعض ، وهو الهدف الأساسي لكل علم . فالمتخصصون في علم النفس يقومون بجمع الحقائق عن السلوك للتوصل إلى صورة دقيقة ومنسجمة عنه ويستخدمون في سبيل ذلك كل الوسائل والطرق العلمية المعمول بها من ملاحظة واختبارات ومقابلات شخصية وغيرها من طرق الفحص التي تهدف إلى الوصف مثل وصف السلوك العدواني، وصف الحالة الاكتئابية وسلوك الأمومة.... والجدير بالذكر أن عملية تشخيص المرض عند المرضى ما هو إلا عملية وصف وتصنيف Classification .

ويعد التصنيف ذو أهمية نظرية بالنسبة للوصف في علم النفس كما هو الحال في العلوم الأخرى كالطب والبيولوجيا حيث يتم تصنيف السلوك إلى أقسام أو جوانب متشابهة ووضع أسماء لها كأن تصنف بعض السلوكات على أنها سلوكات مضطربة أو غير سوية كأن يصنف التبول اللاإرادي كمشكلة سلوكية إذا حدث في سن ما بعد السادسة مثلا. وبالتالي يمكن وضع أي فعل إنساني في التصنيف المناسب له فتتعدد التصنيفات تبعا للهدف منها كتصنيف الأبعاد الأساسية للشخصية أو السمات إلى الانبساط والعصابية والذهانية ...

ثانيا/ الفهم والتفسير Comprehension and explanation:

بعد وصف أنواع السلوك وتصنيفها فإن الهدف الثاني لعلم النفس هو تفسير الظواهر وجمع الوقائع والمبادئ التي يمكن فهم السلوك على ضوئها ومنها فهم العوامل التي تيسر عملية التعلم وتفسرها وفهم وتفسير سلوك انحراف الأحداث والطلاق واضطراب اللغة وبالتالي الإجابة عن أسئلة مثل: لماذا ترتفع معدلات الإصابة بالاكتئاب أو القلق؟ (أحمد محمد عبد الخالق وعبد الفتاح محمد دويدار،1999)

ففهم الظاهرة وتفسيرها يتطلب الكشف عن العلاقة التي تربط بينها وبين الظواهر الأخرى وبمعنى آخر اكتشاف العلاقات المختلفة بين المتغيرات موضوع الفهم ، فنحن نفهم الأحداث في ضوء مقدماتها أو الأحداث الأخرى التي تسبقها والظروف التي تحيط بها. فإذا قلنا أن سبب سلوك الشخص على نحو معين هو شعوره بالنقص فإننا لا نفيد شيئا من حيث تفسيره إلا إذا ربطنا بينها وبين متغيرات أخرى مستقلة قد تكون مسؤولة عن هذه الظاهرة كظروف التنشئة أو المعاملة الوالدية .....الخ

فالفهم يتم بعملية الربط وإدراك العلاقات بين الظواهر المراد تفسيرها والأحداث التي تسبقها أو تلازمها. فالوصف ليس فهما لأنه لا يربط الظاهرة بالظواهر الأخرى المسؤولة عن وجودها، وفي هذه الحالة فقط يمكننا التنبؤ والضبط. (طلعت منصور وآخرون،2003)

فالتفسير يدعى فرضا أو فرضية Hypothesis وهو تفسير محتمل للظاهرة موضوع الدراسة وهو بذلك في حاجة إلى اختبار صحته، مثل ذلك "أن الالتحاق بدور الحضانة يرفع من المحصول اللغوي للطفل"

ثالثا/ التنبؤ Prediction:

يسمح التفسير بإمكانية التنبؤ الدقيق بالسلوك مثل التنبؤ باتساع حدقة العين عند لغضب وزيادة ضربات القلب أو التنبؤ بنجاح شخص إذا امتهن مهنة التدريس والتي كشفت الاختبارات النفسية بأنه يحوز القدرات والسمات اللازمة للنجاح فيها والتنبؤ بنوع الشخصية في الكبر انطلاقا من نوعية التربية في الصغر والتنبؤ بالسلوك يرتبط بالتعرف على العلاقات بين المنبهات والاستجابات فكلما تنوعت المنبهات انخفضت دقة التنبؤات. (أحمد محمد عبد الخالق وعبد الفتاح محمد دويدار،1999)

وإذا افترضنا أن هناك علاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسي والتكيف الاجتماعي في المدرسة الابتدائية ، فقد نتنبأ بأن تقسيم التلاميذ بناء على تجانس نسب ذكائهم يساعدهم على التحصيل والتكيف ولكنه قد يكون تنبؤا غير دقيق وغير صحيح لتدخل عوامل كالفروق في السن والذي ينجر عنه سوء التكيف بدلا من تحسينه وبالتالي لا بد من مراجعة معلوماتنا بناء على ما حصلنا عليه انطلاقا من تنبؤاتنا

. وسواء كان تنبؤا صحيحا أو خاطئا فإن نتيجة التنبؤ لها دور مباشر في فهمنا للمشكلة التي نعالجها ، كما أن عملية التحقيق تعد جزءا من التنبؤ بحيث يتم اختبار ذلك بطريقتين أي عن طريق الاستنتاج العقلي المبني على الاستدلال أو عن طريق التحقيق التجريبي .

رابعا/الضبط Control:

ويتمثل في تناول الظروف التي تحدد حدوث الظاهرة بشكل يحقق لنا الوصول إلى هدف معين كأن نتحكم في النجاح في تخصص معين على أساس توجيه تعليمي أو توجيه المهني في مجال العمل .(طلعت منصور وآخرون،2003)

فالتوصل إلى ضبط السلوك والتحكم فيه يعني أن عالم النفس قد فهم الشروط المهمة التي يحدث في ظلها هذا السلوك وبالتالي يهدف علم النفس إلى تعديل سلوك المضطرب نفسيا بعلاجه وضبط سلوك المراهق الذي يستمر في قضم أظافره بطريقة قهرية وتعديله. وعليه فإن دقة التنبؤ والضبط مرتبطة بضرورة دراسة مختلف الجوانب لدى الشخص الذي صدر عنه السلوك وتتمثل هذه الجوانب في:

-المنبهات أو المثيرات البيئية التي قد تثير وتتسبب في ظهور هذا السلوك

-الدوافع البيولوجية والاجتماعية للسلوك

-إدراك الفرد لبيئته

-تعلم الفرد وتغييره لسلوكه لكي يناسب مطالب البيئة الجديدة

-تذكر الحوادث السابقة ومدى تأثيره في إدراك الموقف

-طريقة الفرد في التفكير وحل المشكلات. (أحمد محمد عبد الخالق وعبد الفتاح محمد دويدار،1999)

خلاصة لما سبق يمكن القول أن علم النفس يهتم بفهم نشاط الأفراد في السياقات المختلفة وتفسيره والتنبؤ به أي بناء تصورات نظرية والتحكم فيه من خلال بناء برامج تدخل وتقييمها. وفي دراسته هذه يتطور علم النفس سريعا مستفيدا مما تكشف عنه العلوم المعاصرة وساعيا للتكامل معها ، لذا حقق نموا و ارتقاء متسارعا متلاحقا عبر العالم.

فعلم النفس الحديث لا يتعامل مع النفس بمعنى الروح ، فالروح ليست موضوعا للعلم لأن مصدر معرفتها هو الوحي الإلهي فقط { ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي } (سورة الإسراء 85) . كما لا يتعامل مع النفس بمعنى العقل ، لأن العقل هو المفهوم الوظيفي للمخ أو النشاط الذهني الذي يقوم به وهو بذلك يشكل جزءا من موضوع علم النفس وهو التفكير.

فهو علم يتعامل مع النفس بمعنى السلوك Behavior أي نشاط الكائن الحي في لحظة ما من حياته سواء كان هذا النشاط إراديا كسلوك المشي أو كان لا إراديا كالتحدث خلال الحلم أثناء النوم ، أو كان هذا السلوك ظاهرا كإلقاء محاضرة أو كان ضمنيا كالتفكير في معاني المحاضرة ، أو كان معرفيا ذهنيا كحل مسألة حسابية أو انفعاليا ووجدانيا كحال الخوف والغضب مثلا أو كان حركيا كنشاط اليد أثناء الكتابة.(نرمين حمدي عمارة، د ت).